مفهوم الإرهاب والتطرف، أسبابه وعلاجه، في القرآن الكريم من منظور سيد قطب في ظلال القرآن

عثمان منذو مختار مالم موسى آل موسى
جامعة السلطان شريف علي الإسلامية، usmanemanzo@yahoo.fr

ملخص

الإرهاب هو استخدام العنف غير المبرر أو التهديد به بأشكاله المختلفة، يكمن في منع الإنسان في ممارسة شعائره الدينية و حريته الاعتقادية وميوله المذهبية والفكرية. إنما جاهد منهج القرآن الكريم ليقيم نظاما آمنا يأمن فى ظله أصحاب العقائد جميعا ويعيشون فى إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته، وكانت قوة الإسلام ضرورة لوجوده وانتشاره واطمئنان أهله على عقيدتهم، واطمئنان من يريدون اعتناقه على أنفسهم، وإقامة النظام الصالح وحمايته، ولم يكن الجهاد أداة قليلة الأهمية ولا معدومة الضرورة فى حاضره ومستقبله كما يريد نه البعض هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقى نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان جتى لمن لايعتنق عقيدة الإسلام ، وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لايعتنقون الإسلام، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن فى الوطن الإسلامى أيا كانت عقيدته.

الكلمات الدالة: أسباب وعلاج الإرهاب والتطرف، سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن

The Concept of Terrorism and Extremism, Its Causes and Treatment in the Holy Qur'an from the perspective of Sayyid Quṭb

Abstract

Terrorism is the use of the unlawful violence or its various forms to threat others, such as the prevention of a person in practicing his religious rites, his freedom of belief, and his ideological and doctrinal tendencies. Islam struggled to establish a secure system on the earth where all kind of doctrines can live together under its obedience even if they are not embracing the doctrine of Islam. The strength of Islam was a necessity for its existence and its spread and its people's trust in their faith, and the reassurance of those who wanted to embrace Islam, and to establish and protect the good order. Jihad was not a tool had a little importance or necessity in its present and future, as the worst of its enemies want to propagate against Islam. This is the basis of the divine system which is brought by Islam, and on this basis, a clean moral system guarantees the freedom of every human being in the Islamic homeland, even those who do not adhere to accept Islam.

Keywords: *causes and treatment of terrorism and extremism, Sayyid Quṭb,* Tafsir fī Ẓilāl al-Qur'ān

المقدمة

في البدء نود أن نتحدث عن منهج القرآن الكريم، الذي جاء ليقم مجتمعا فاضلا متماسكا متعاونا، يعيش الناس جميعا في ظلاله إخوانا متحابين سعداء ببعضهم بعضا بعيدا عن البغضاء والحقد والكراهية والأنانية الذات، يوفر لهم أمنا وأمانا على أنفسهم وممتلكاتهم. يقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} سورة الحجرات. الآية ١٣

أما الإرهاب والعنف والتطرف، فهو خلاف لما يعنيه منهج القرآن الكريم، دخيل لم تعرفه الأمة التي عاشت في طول المدة تنعم بالأمن والأمان والاستقرار والهدوء.

وفي السنوات الأخيرة بدأت ب الفتن تطل برأسها على المجتمع الإنساني بسلوك غير معهودة، نتيجة تصرفات بعض الأفراد الذين ينتمون إلى أيديلوجية شاذة غير معروفة في تلك المجتمعات المتماسكة المتعاونة.

والحد الأدنى من التعرفات المتعددة للإرهاب هو أنه القيام بإفزاع الآخرين، وبث الخوف فى نفوسالهم بأية وسيلة، وإذا كان هذا هو مفهوم الإرهاب في حده الأدنى، ومن ثم فإن بعض الدول التي لها أجندة لهيمنة وسيطرة لمقدرات الشعوب، تتزرع تحت هذا الشعائر تتهم الإسلام هو مصدر الأصيل لنشئة الإرهاب وتشجيعه وحمايته.

وبعض الذين يتهمون الإسلام بتنشئة الإرهاب وحمايته، يحتجون بقول الله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} سورة الأنفال : ٦٠

ومع أن تفسير الآية الكريمة لا يشير إلى دعوة المسلمين إلى العدوان والتخريب وتدمير الممتلكات وإرهاب الآمنين، وإنما هي أمر صريح للمسلمين بأن يكونوا على أتم الاستعداد بكل ما هو متاح ما يستطيعون من قوة وسلاح وتدريب المستمر، وهذا هو الإعداد الجاد المتكامل.

ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالا، وكان النظام الإسلامي يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله {وَمَا تُنْفِقُوا

مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ – وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} سورة الأنفال. ٨: ٦٠- ٦١. وهكذا يجدد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيل الله من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي، ومن كل شعور قومي أو طبقي ليتمخض خالصا لله، في سبيل الله، ليتحقيق كلمة الله ابتغاء رضوان الله.[1]

الإرهاب والتطرف ومسبباته

تدور هذه الكلمة فى اللغة العربية حول معنى الإخافة والإفزاع، فإذا قيل أرهبه ورهبه يعنى أخافه وأفزعهم، كما يقال استرهبه أي أخافه إذ استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وطلب أن يرهبه ويخيفه أو عمل عملا ليرهبه[2] رهب رهبة ورهبا ورهبانا — الرجل خاف، أرهب فلانا خوفه، استرهب فلانا خوفه ، الراهب الخائف، وعند النصارى من تبتل لله واعتزل عن الناس إلى الدير طلبا للعبادة ، ج رهبان، والأنثى راهبة.[3]

استخدام العنف غير القانونى، أو التهديد به بأشكاله المختلفة، كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسى معين مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الافراد وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات، أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أومال .وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية.

الإرهاب: هو أن تستخدم العنف مع من ليس بينك وبينه قضية ، وإنما هو وسيلة لإرهاب الآخرين وإيذائهم بوجه من الوجوه وإجبارهم على أن يخضعوا لمطالبك، وإ ن كانت عادلة فى رأيك، ويدخل فى ذلك خطف الطائرات فليس بين الخاطف وركاب الطائرة عادة قضية ولاخلاف بينه وبينهم، إنما يتخذهم وسيلة للضغط على جهة معينة مثلالضغط على حكومة الطائرة المخطوفة لتحقيق مطالب له، كإطلاق مساجين أو دفع فدية أو نحو ذلك،

---

1 Sayyīd Quṭub, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān* (Cairo: Dār al-Shurūq li al-tiba'ah wa al-Nashr wa al-tawzī' wa al-tarjamah, 2004), 3:1544.

2 Sayyīd Quṭub, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān,* 141.

3 Al-Mu'tamad. *Qāmūṣ 'Arābiyy – 'Arabiyy* (Beirut: al-Nāshir Dār Ṭādir li al-ṭiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi', 2000), 233.

وإلا قتلوا من ركاب الطائرة أو فجروها بمن فيها، كما يدخل فى ذلك احتجاز رهائن لديه، لايعرفهم ولا يعرفونه ولكن يتخذهم وسيلة ضغط لتحقيق مطالبه أو يقتل منهم من يقتل.[4]

ولكن بعض المفكرين يرى صعوبة وضع تعريف موحد محدد للإرهاب ، ويرىأن التغلب على هذه المشكلة إلى حدما يكون بالتعرف على ما يندرج أولا تحت عنوان لفعل الإرهابى.

وردت فى القرآن الكريم آيات يدور المعنى حول الدلالة اللغوية لمادة الإرهاب ومرادفاتها، كالخوف والرعب والروع والفزع والرهبة والأولى: منها قوله تعالى {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} سورة النساء .: ١٢١

قوله تعالى {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} سورة الكهف: ١٨

قوله تعالى فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} سورة هود: ٧٤، قوله تعالى {مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} سورة النمل: ٨٩. قوله تعالى {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} سورة البقرة : ٤٠ . من الآيات الوثيقة الصلة بموضوعنا قوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} سورة الأنفال ٨: ٦٠.

الفرق بين الجهاد والإرهاب

العلاقة بين إجرام الإرهاب، وشرعية جهاد الإسلام. وإنما شرع الجهاد من أجل حماية الإنسان ومن أجل حماية المستضعفين من الرجال والنساء والصبيان ، ولم يشرع الجهاد

[4] Yūsuf al-Qarḍāwī. *Naḥnu wa al-Gharbi as'ilah Shā'ikah wa Ajwabah Ḥāsimah* (n.p.: n.pb., n.d.), 47-48.

الاعتداء أو لإجبار الناس عن الدخول فى الإسلام، وإنما شرع لحماية الدعوة ولضمان وصولها إلى الناس ولحماية العاملين فى حقل الدعوة، وهناك فريق من الناس يظنون أن الجهاد شرع لإجبار الناس للدخول فى الإسلام من أسلم فله أمان ومن كفر فعليه القتل أو الجزية ، وهذا مفهوم غير صحيح بمرة، وإنما الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالحق والهدى إلى الناس ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} سورة الروم ٣٠: ٤٤.

ويقول سيد قطب: هذه هى قاعدة النظام الربانى الذى جاء به الإسلام، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقى نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان حتى لمن لايعتنق عقيدة الإسلام، وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لايعتنقون الإسلام، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن فى الوطن الإسلامى أيا كانت عقيدته، ولايكره فيه أحد على اعتناق عقيدة الإسلام، ولاإكراه فيه على الدين إنما هو البلاغ! جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع فى الأرض ويقرره ويحميه، وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التى تقوم على عبودية البشر للبشر ،وبعد أن سحق تلك النظم الباغية يدع الناس فى ظله أحرارا فى عقائدهم الخاصة لايلزمهم إلا بالطاعة لشرائعه الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والدولية، أما عقيدة القلب فهم أحرار، وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضا على المسلمين حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله، ولم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناق عقيدة ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه إنما جاهد ليقيم نظاما آمنا يأمن فى ظله أصحاب العقائد جميعاويعيشون فى إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته، وكانت قوة الإسلام ضرورة لوجوده وانتشاره واكمئنان أهله على عقيدتهم ، واطمئنان من يريدون اعتناقه على أنفسهم ،وإقامة النظام الصالح وحمايته، ولم يكن الجهاد أداة قليلة الأهمية ولا معدومة الضرورة فى حاضره ومستقبله كما يريد أخبث أعدائه أن يوحوا للمسلمين.

يقول الله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}. سورة الأنفال: ٦٠ .

فالاستعداد بما فى الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص رباط الخيل، لأنه الأداة التى كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة، ولو أمرهم بإعداد أسباب لايعرفونها فى ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– والمهم هو عموم التوجيه.[٥]

إنه لابد للإسلام من قوة ينطق بها فى الأرض لتحرير الإنسان ، وأول : ما تصنعه هذه القوة فى حقل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم فى اختيارها، فلا يصدوا عنها ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها، والثانى: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا فى الوقوف فى وجه المد الإسلامى وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله فى الأرض كلها، والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة فى الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية ، فتحكم الناس بشرائعها هى وسلطانها ولاتعترف بأن الألوهية لله وحده، ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه، إن الإسلام ليس نظاما لاهوتيا يتحقق بمجرد استقراره عقيدة فى القلوب، ثم تنتهى مهمته إن الإسلام منهج واقعى للحياة يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى معادية، فلا مفر للإسلام لإقرار منهجه الربانى من تحطيم تلك القوى المادية وتدمير السلطات التى تنفذ تلك المناهج الأخرى وتقاوم المنهج الربانى.[٦]

إن عرض مبادئ الإسلام فريضة وأن صيانة الحرمات والمقدسات فريضة، وأنه لايتم ذلك إلافى ظل تقدم المسلمين وتفوقهم ورهبة الأعداء من التصدى لهم أو منعهم من ذلك أو الاعتداء عليهم وأنه مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فكان امتلاك القوة الإرهاب الأعداء واجبا.[٧]

وضوح حقيقة الجهاد وأحكامه وصوره ومبادئه، وبعد وضوح حقيقة مصطلح الإرهاب وبعد رفضنا لمعناه الغربى المرادف العدوان، وبعد بيان مدلوله فى مفهوم الإسلام وأنه لاصلة له بالعدوان على الإطلاق، نأتى إلى بيان طبيعة العلاقة بين الجهاد والإرهاب،

---

[5] Sayyīd Quṭb, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān*, 1543.

[6] Sayyīd Quṭb, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān*, 1544.

[7] 'Abd al-Maqṣūd 'Askar, *al-'Adl wa al-Salām fī Ḍil al-Islām* (Cairo: Dār al-Tawzi' wa al-Nashr al-Islāmiyyah, 2006), 144.

إن امتلاك مصادر القوة فريضة فرضها الله على المسلمين، ودليل ذلك قول الله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} سورة الأنفال ٦٠.

إن امتلاك مصادر القوة لايعنى استعمالها بالضرورة، بل إن امتلاك القوة والقدرة على استعمالها قد يغنى عن استعمالها إذا تحققت الأهداف والغايات التى من أجلها شرع القتال فى الإسلام، وربما تحققت هذه الأهداف والغايات عن طريق صور الجهاد والأساليب الأخرى، وعلى هذا فإن إرهاب الأعداء ومنعهم من العدوان على الأمة الإسلامية أوالتعدى على حرمات المؤمنين بالإسلام أو منع هؤلاء المؤمنين من تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة كما أمر هم الله عز وجل ، إنه لايمكن لهذا الإرهاب أن يحدث إذا كان المسلمون ضعفاء مجردين من القوة ، ومعنى هذا أن الإرهاب الذى هو نتيجة الامتلاك القوة يعد مانعا من عدواناالآخرين كما يعد وسيلة من وسائل الجهاد لأنه يحفظ للمسلمين هيبتهم ومكانتهم وكرامتهم ويزيل العقبات من طريق دعوتهم.[8]

وللأسف هنالك جهات إعلامية فى الغرب والشرق معنا تخلط بين الإرهاب والجهاد الإرهاب الذى يدينه الإسلام ويرفضه، ولذا فكما بينا الإرهاب المرفوض فى الإسلام، نبين معنى الجهاد الذى يفهم خطأ. كلمة الجهادمثل كلمة الاجتهاد– كلتاهما مشتقة من كلمة جهد ومعناها بذل الجهد وهو الطاقة أو تحمل الجهد وهو المشتقة، ولكن الاجتهاد يعنى بذل الجهد أو تحمل الجهد العلمى والفكرى لمعرفة أحكام الشرع واستنباطها من أدلتها، أما الجهاد فهو يعنى بذل الجهد البدنى والنفسى والمالى والعملى من أجل الدفاع عن الدين حتى تكون كلمة الله هى العليا وهو يبدأ بجهاد النفس ثم جهاد الشيطان ثم جهاد الظلم والفساد فى المجتمع ثم جهاد الكفار والمنافقين.[9] {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} سورة البقرة. ٢: ١٩٠.

إن القتال أو الجهاد لله، لا لأي هدف آخر من الأهداف التى عرفتها البشرية فى حروبها الطويلة، القتال فى سبيل الله، لافى سبيل الأمجاد والاستعلاء فى الأرض، ولافى سبيل المغانم والمكاسب، ولافى سبيل الأسواق والخامات، ولافى سبيل تسويد طبقة على طبقة أو

8 ‘Abd al-Maqṣūd ‘Askar, *Al-‘Adl wa al-Salām fī Ḍil al-Islām,* 145.

9 Yūsuf al-Qarḍāwī. *Naḥnu wa al-Gharbi as’ilah Shā’ikah wa Ajwabah Ḥāsimah,* 49-50.

جنس على جنس، إنما القتال لتلك الأهداف المحددة التى من أجلها شرع الجهاد فى الإسلام، القتال لإعلاء كلمة الله فى الأرض وإقرار منهجه فى الحياة وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهى حرب غير مشروعة فى حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولامقام، ومع تحديد الهدف تحديد المدى.[١٠]

يقول سيد قطب: إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما فى الحياة الإنسانية ، ومن ثم فهى أشد من القتل النفس وإزهاق الروح وإعدام الحياة، ويستوى أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلى، أو إقامة أوضاع فاسد من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله، وتزين لهم الكفر أو الإغراء عنه، وأقرب الأمثلة على هذا هو نظام الشيوعى الذى يحرم تعليم الدين ويبيح تعليم الإلحاد! ويسن تشريعات تبيح المحرمات كالزنا والخمر ويحسنها بوسائل التوجيه، بينما يقبح لهم اتباع الفضائل المشروعة فى منهج الله، ويجعل من هذه الأوضاع فروضا حتمية لايملك الناس التفلت منها.[١١]

يعدد القرضاوي أصناف الناس الذين يحتاجون هذا الكتاب، لفهم قضية الجهاد فهما دقيقا لا غلو فيه ولا تفريط، وكأنه استوعب فئات المجتمع بأسره؛ المسلمين منهم وغير المسلمين، الحكام والمحكومين، العسكريين والمدنيين، والمفكرين والمثقفين في عشر فئات كاملة أحسبها استوعبت فئات المجتمع كله.

وبهذا نرى: أن إيجاب غزو الأعداء كل سنة، إنما يخضع في الواقع لفقه السياسة الشرعية، وهو فقه يتَّسم بالرحابة والمرونة، والقابلية للتطوُّر وتعدُّد وِجهات النظر، لأنه *يقوم أساسا على فقه* المقاصد والمصالح، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفي هذه الألوان من الفقه مجال واسع للاجتهاد الإنشائي، والاجتهاد الانتقائي، واختلاف التنوع، وتعدُّد الأنظار والرُّؤى، دون نكير من فريق على آخر، ما دام يحترم الثوابت، ويرعى الأصول الشرعية، والضوابط المرعية.

متى يكون الجهاد فرض عين؟ يذكر الشيخ هنا أن الجهاد يتعين –أي يكون فرض عين– في حالات معينة وهي:

---

10 Sayyīd al-Quṭb, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān*, 187.
11 Sayyīd al-Quṭb, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān*, 189.

- عند هجوم الأعداء على بلد مسلم.
- استنفار الإمام لفرد أو طائفة معينة.
- حاجة الجيش إلى خبرة فرد معين
- عند حضور المعركة بالفعل[١٢]

الإسلام جاهد أولا ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التى كانوا يساموها وليكفل لهم الأمن عن أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وجاهد الإسلام ثانيا لتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة وبأرقى نظام لتطوير الحياة، جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولاإكراه فى الدين، فجاهد الإسلام ليحطم النظم الطاغية، وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة إلى الحق فى كل مكان وحرية الدعاة ، ومايزال هذا الهدف قائما ، ومايزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين.[١٣]

الخاتمة

إن التطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسيا واجتماعيا ودينيا دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة، أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب، فالتطرف دائما في دائرة الفكر أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب.

التطرف لا يعاقب عليه القانون ولا يعتبر جريمة بينما الإرهاب هو جريمة يعاقب عليها القانون، فالتطرف هو حركة اتجاه القاعدة الاجتماعية والقانونية ومن تم يصعب تجريمه، فتطرف الفكر لا يعاقب عليه القانون باعتبار هذا الأخير لا يعاقب على النوايا

[12] Rajab Abū Maliḥ, ustādh bi al-kuliyyah al-shārī'ah wa al-qānūn, Jāmi'ahInsāniyyah, Kedah, Malaysia.
[13] Sayyīd al-Quṭb, *Fī Ẓilāl al-Qur'ān*, 294.

والأفكار، في حين أن السلوك الإرهابي المجرم هو حركة عكس القاعدة القانونية ومن ثم يتم تجريمه.[١٤]

إن التفريق بين الإرهاب والتطرف هو مسألة جد شائكة، وذلك لشيوع التطرف والإرهاب كوجهين لعملة واحدة، ومع ذلك فتفرقة ضرورية، ويمكن رسم أوجه الاختلاف بينهما من خلال النقاط التالية: التطرف يرتبط بالفكر والإرهاب يرتبط بالفعل. [١٥]

ومبادئ الإسلام لا تعرف الإكراه، ولا تقر العنف، ولذلك لم يجبر أحدا على الدخول فيه، بل جعل ذلك باختيار الإنسان.[١٦]

---

[14] Wa yulakhkhiṣ al-mufakkir al-Miṣr Fūad Zakariyyā (1927-2010), fī Kitābihi "*Al-Ṣaḥwah fī Mīzān al-'Uqal"* (1987), al-rawābiṭ bayna al-istibdād wa al-taṭarrafu qā'ilan: "Law shikta anna al-Khaṣṣ al-'alāqah bayna al-ikr al-dīnī al-mutaṭarrif min jihhah wa bayna al-demoqrāṭiyyah wa al-istibdād al-siyāsī min jihhah ukhrā, laqaltu inna al-demoqrāṭiyyah lā tuḥārib hadhā al-fikr al-mutaṭarraf, wa innamā tazīlu asbāb wujūdahu, fa al-taṭarrafu al-dīnī lā yaḍṭahidu fī al-niẓām al-demoqrāṭī. Bal innahu biyāsaṭah, lā yajid al-turbah al-ṣāliḥah li zuhūrihi. Ammā al-istibdād al-siyāsīfa innahu yu'ṭī al-taṭarruf kullu maqūmāt wujudihi, wa yuhayyi'u lahu al-manākh alladhī yusammiḥ lahu bi al-izdihāt, lakinnahu surān mā yuqma'ahu aw bi'anufa idhā tajāwaj ḥudūdan mu'ayyanah, wa huwa la budda an yatajāwazu hadhihi al-ḥudūd, li anna al-taṭarraf la yumkinhuṣrahu aw rasm (khaṭ aḥmar) lā yaṣaḥ lahu an yut'adahu. Wa hakadhā fa inna al-istibdād yadkhulu ma'a al- taṭarruf fī 'alāqah shadīdah al-ta'qīd: idh innahu yanfa'uhu wa yaḍurruhu fī anna ma'an, wa yan'ishuhu thumma yakhniqahu fī ḥarakah judliyah ma'suwiyah la mafar minhā.

[15] Wa lā nukhliṭ ayna al-Islām al-siyāsī wa al-irhāb fa al-Islām yaqūmu kulluhu 'alā al-ḥuriyyah wa yaurfaḍu al-ikrāh bi jamī'I ṣūrihi wa al-manāḍir allatī narāhā min khuṭfi al-rahāin ilā taf̀jīr al-'urbāt ilā nisf al-ṭairāt ilā iṭlāq al-nār 'alā mukhfar shurtah laysat islāman wa lā uṣuliyah bal jarāim yartakibuhā majrumūn qatlah w al-Islāikhtibār wa iqtinā' wasīlatahu al-da'wah bi al-ḥusnā wa huwa la yarfa'u slāhan illā raddan 'alā 'udwān wa lā yuqātil illā difā'an 'an ḥaqqa mughtaṣibun wa huwa dīn al-rāḥmah wa al-mawaddah wa al-samāḥah wa al-ḥilmin wa al-'afwa wa al-maḥabbah wa huwa salāmun kullihi tahiyyatuhu al-salām wa rūḥihi al-salām.

[16] Naqlan 'an Wikipedia al-mawsū'ah al-ḥarrah. Wa fī Iṭār taḥdīd mafhūm al-taṭarraf aqūlu: innahu lā yuhiqqu li man yutbinā mawqifan mutaṭarrifan 'adāi'yā min al-Islām, an yuḥaddidu mafhūm al-taṭarraf dākhil al-Islām, li anna 'adāihi li al-Islām afqiduhu 'adālatuhu an yakhuḍū fī hadhā al-amr, aw yuqaddamu durūsan fī luzum al-I'tidāl wa nabazu al-taṭarraf. Fafāqidu al-shay' lā yu'tihi wa al-ma'ādī li al-Islām fāqadu li al- 'I'tidā wa al-inṣāf fī mawqifuhu min al-Islām, wa hadhā ayḍan taṭarrafa illā annahu taṭarrafu fī al-ittijāhu al-ma'ākis li al-taṭarraf al-dīnī.

التطرف يقصد به في الغالب الخروج عما اعتاده وألفه الناس من أفكار وسلوكيات وأحوال، ولا يقتصر التطرف على المجال الديني فحسب، بل قد يطال كل المجالات، السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الرياضي منها. وفي المجال الديني. لا يقتصر التطرف على دين معين، بل هناك متطرفون من أتباع كل الديانات السماوية والوضعية، ومن أتباع كل الإيديولوجيات، فهناك متطرفون يهود، ومتطرفون نصارى، ومتطرفون هندوس، ومتطرفون علمانيون، ومتطرفون ملحدون ومتطرفون مسلمون.

إن الإرهاب والتطرف والعنف لم يأتِ اعتباطًا ولم ينشأ جزافًا بل له أسبابه ودواعيه، ومعرفة السبب غاية في الأهمية ذلك لأن معرفة السبب تحدد نوع العلاج وصفة الدواء، فلا علاج إلا بعد تشخيص، ولا تشخيص إلا ببيان السبب أو الأسباب، فما إذن هذه الأسباب والبواعث التي أدت إلى هذا الفكر الضال؟

شتان بين الجهاد الإسلامى الذى لم يفرض إلا من أجل حماية المقهورين والمظلومين والمجبرين على أن يقوموا بالدفاع عن أنفسهم من أجل البقاء ووقاية من الاستأصال والإبادة ، وصونا للكرامة والعرض والممتلكات ، وضمانا لحرية العقيدة .

References

Al Qur'ān al-Karīm.

Quṭub, Sayyīd. *Fī Ẓilāl al-Qur'ān.* Cairo: Dār al-Shurūq li al-tiba'ah wa al-Nashr wa al-tawzī' wa al-tarjamah, 2004.

Al-Mu'tamad. *Qāmūṣ 'Arābiyy – 'Arabiyy.* Beirut: al-Nāshir Dār Ṭādir li al-ṭiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi', 2000.

Al-Qarḍāwī. Yūsuf. *Naḥnu wa al-Gharbi As'ilah Shā'ikah wa Ajwabah Ḥāsimah* (n.p.: n.pb., n.d.), 47-48.

'Askar, 'Abd al-Maqṣūd. *Al-'Adl wa al-Salām fī Ẓil al-Islām*. Cairo: Dār al-Tawzi' wa al-Nashr al-Islāmiyyah, 2006.